(١٥)

آدم
المعنى والهيكل والقدس
للفرد والبيت والمدينة والأمة والجنس

حديث الجمعة
١٦ جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ - ١٤ نوفمبر ١٩٦١ م
تصحيح التاريخ الهجري: ٦ جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ

إليك، يا من قدرنانا له عبادا، فعرفناه لنا ربا.

إليك يا من عرفناه لنا ربا، فعرفنانا له وجوها.

إليك يا من عرفناه معروفا لا ينكر، ومعلوما لا يجحد، وموجودا لا يغيب، وظاهرا لا يختفي، ومنزها لا يظهر، فعرفنانا له عبادا، وللعوالم أسيادا، به عليها نقوم، ومنه معها نتواجد، وإليه بها نرجع، ومعه واحدا نتوحد، وفيه أحدا نفنى، وبه بالأشياء نبقى، وعبادا له نعرف.

إليك نلجأ وبك منا نعوذ، وبفضلك نستعين. نؤمنك لا ظاهر إلا أنت، ونؤمنك في جلال عن الظهور بجوهرك، وفي إحاطة بالظهور بعبادك. لا إله ولا مألوه إلا أنت، ولا إله غيرك.

اصطفيت قديما في أزلك أبانا ومولانا، وأظهرته في كونك، وبين عوالم وجودك، بمعناك وجها لك، وخليفة عنك. وكرَّمت أَبناءَه وأحفاده وذريته، وجعلتهم محل عطائك واصطفائك ومحل رضائك واجتبائك، ومحل توفيتك ووفائك، ومحل خلافتك وصفاتك وأسمائك. فجعلت آدما معنى فيك وقياما لك في ملئك ملأً له سجد، وبك منه وجد. أظهرته وأكبرته، وأعليته وكنزته، وأخفيته وعظمته، ثم جددته وأظهرته علما بظاهره على باطنه قدمته، واجتبيته لغيبك فجعلته وبنيه حضرة ذاتك وملئك، يشهدك فيهم وفي نفسه، ويشهدونك فيه وفي أنفسهم، وحضرة أسمائك وصفاتك، خليفة عنك، لا تظهر إلا بحضرتك به إكبارا لحضرتك عن الظهور لغيرك، ولا تختفي حضرتك عن حضرته عبدا لك، متسعا بعلمك وما علمته لأسمائك وصفاتك، ولمعاني حضراتك.

جعلت من آدم معنى وجوهرا، ورسما ووصفا، ومظهرا ومخبرا، وزمانا وعصرا ودهرا، فجعلت العالم مظهره، وجعلت من الأرض مخبره، وجعلت من الشمس علمه ومن القمر ولده، فجعلته معنى ومعاني، وخبرا ومباني، وجعلته فردا، وجعلته زوجا، وجعلته بيتا، وجعلته أبا وولدا، وجعلته مدينة وبلدا، وجعلته أمة وجنسا، وجعلته بشرية، وجعلته إنسانية، وجمعته عنوانا على غيب لمعناك من ذاتك وروحك، إنسانا لمعناك في روحك وذاتك. وجعلته عالما لعبدك. وجعلته وجودًا لعبادك. وجعلته غيبا لمعاني غيبك في غيبك.

عَلَّمته وأعلمته، وكثرته وجددته. قمت به على أولاده فكنت القائم على كل نفس بما كسبت، وجعلت من أبنائه مظهره ووجوهه فكنت به من وراء كل نفس محيط، وأظهرت الكون بمظهره منك مظهرا له علما عليك فجعلت من مواجيد الكون ومظاهره وجوها لك بمعناه وجها لك، فكانت به وجوها لك، فكان الناظر أينما ولى فوجهك. قمت به خليفة عنك على كل نفس وعلى كل ذات من أبنائه فكنت به أقرب لكل نفس من حبل الوريد، كنت عين معناها لأن كل نفس عين معناه منك على ما أوجدته لنفسك، وكبَّرته لخلقك، وأعلمته وعلمته لرحمتك، ثم طورته لظهورك، وأخيرا كما كان أولا خلفته ولنفسك اصطفيته ونسبته، فكنت به الواحد الأحد الذي توحدت الأشياء فيه بوحدانيتها فيك علما عليها بك، وإخبارا عنك به. وأنت اللانهائي لا ظهور لك، ولا إحاطة بك، ولا غيبة منك، ولا انفكاك عنك.

جعلت منه بشرانا بالجديد لنا في أمر أنفسنا تسعدنا بكونه أن نكونه هيكلا لك. وجعلت منا به أملنا ورجاءنا أن نكون هياكلك فنكون مظاهر أمرك وإرادتك، بدايات حية لكلمات طيبة لشجرة مباركة نامية تمتد في الأرض بجذورها، وترتفع إلى السموات بغصونها، وتغدق بثمرها كل حين بما تحوي نواتها. تتكاثر من وحدتها بعين واحديتها آحادا لك وهياكل قيامك. تشتتها بقدرتك وتجمع شتاتها في أمشاج تبتليها برحمتك، فتوحدها هيكلا واحدا لقدسك، وآدما واحدا لموجودك تعطيه تكاثره بقدرتك في قدرته، وتعطيه تعدده بكرمك وجودك ليعرف نفسه بنفسه، ويتعارف إلى نفسه في أبعاض نفسه على ما أنت في تجلياتك وفي أزلي صفاتك، فيعلم عنك في علمه بنفسه عنه، ويعلم عنه في علمه عنك في قديمه في أزلي له منك، وفي جديده في أبدي له بك على ما أردت، فكان ظل إرادتك فيما يريد، وظل وجودك فيما يتواجد، وظل رحمتك فيما يفعل، وظل وحدتك فيما يتجمع ويتوحد، وظل صنعك وقدرتك فيما يتبعض. جعلت منه الحلقة الوسطى، والذات الوسطى، والكتاب الأوسط، والآدم الوسط، والأمة الوسط بين أزلية وأبدية، وجعلت من هذه الصفة فيه أكرم المعاني منك، وأعرف الكائنات بك. جعلته خير أمة أخرجت للناس تعرف وتعنون الله، وتؤمن وتتصل به، تعرف

الله في قديمها من الناس، وتعرف الله في جديدها باقيا بالله في الناس، وتعرف نفسها لله أُناسي، فتعرف الله في الناس قديما لا بدء للناس ولا بدء له، وتعرف الله باقيا.. باقيا بالناس لا انتهاء للناس ولا انتهاء له، وتعرف الله قائما قريبا في الناس ولا تعدد فيه ولا شريك له، فتشهد أنه لا إله إلا الله، وتشهد أن عبده وخليفته ورسوله، ما هو إلا الحق منه، وما هو إلا وجهه، وما هو إلا داني حضرته، قيوما به قائما به على الناس بالناس في الناس للناس من الناس إلى الناس، فيشهدونه محمدا رسول الله في شهادة أنفسهم من روح محمد رسول الله، وفي شهادة محمد رسول الله من أنفسهم، يعلمون أنهم بدءا من آدم محمدٍ عبد الله تواجدوا، وأنهم إلى محمد آدم عبد الله يصيرون، وأن محمدا ما كان إلا من عبد الله له، وما هو إلا إلى عبد الله منه، وأنهم في معناه لأنفسهم إنما هم في عين معناه لنفسه في الله، يعرفون فيه حجابا أعظم لربهم، ويعرفون فيه رحمة مدانية لخلقهم، ويعرفون به في أنفسهم منه حقا، به يتواجدون، وفيه في الله يسيرون.

إن محمدا لكل مؤمن محمده ومحموده من صفاته، وإن كل مؤمن بمحمد هو لمحمد بعثه وجديد ذاته، بإبراز محمد عبده ورسوله على ما أبرزه، وعلى ما أقامه، وعلى ما بعثه، وعلى ما قديما أوجده، وعلى ما في محدث جدده، وعلى ما في خلق أبدعه، وعلى ما بما أنزل عليه في الناس حققه ونشره، وجعل فيه ذكره ومعناه وخَبَره. به لم يبقَ للناس على الله حجة. لم تبقَ النبوة أمرا ذا موضوع في الناس بها يتميزون، فكلهم الأنبياء والرسل لأنفسهم ولبيوتهم ولجمعهم ما تابعوه، فقد ظهر في الناس رب الناس ملك الناس إله الناس بعبد له من الناس، يقوم بليلٍ باطنُه النهار في مدثر من ذات بحقائق وصفات، بعثا بالحق من الله ذي المعارج.

تدانى ويتدانى الله إلى خلقه كما عرج ويعرج الخلق إلى ربهم. بحث الرب عن عبده بعبده في الخلق فوجده ولم يقبره، وبحث العبد عن ربه في نفسه بين العباد فوجده ولم يهجره. وجده قاب قوسين أو أدنى، وجده لا شريك له، وجده لا إله إلا الله. وجده بفقد نفسه وبقيام معشوقه وربه، وجده في علمه عن نفسه علما عمن أبدعه، ومن سوَّاه وإليه أرجعه، فتواجده فكانه، فوجهه ظهره، وفي مرآة متابع نظره.

لقد جاء محمد ودينه بوحدانية الله في شهادة أن لا إله إلا الله. وقد كشفها رسول الله يوم قال للناس على لسان الله (ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان)[1]. وهو الناطق بأنانية الله أنانية لله به بفقد ذاته لنفسه، وبفقد نفسه لعبده، وبفقد عبده لفعله، وقيامه بغيب أنانيته، وقيام هويته: مَنْ محمد؟ إن محمدا فُقد ورب محمد وُجد بما أنزل عليه من الحق. ما ظهر الله.. ما ظهر قدس الوجود..

ما ظهر سر كل موجود في كائن مشهود مثل ظهوره في الإنسان. فهل كان محمد غير الإنسان، أو غير إنسان؟ ألم يقل ما عرفني غير ربي؟

إنه إنسان الغيب جدد نفسه في محدث من آدم هيكل بظهور غيبه بهيكل ذاته في فرد تواجده، انشق إلى نجديه وانشق إلى قديمه بقدميه في ولديه الأعز عليه، والأحب إليه، فكاناه وخلَّفهما بمعناه ثم جددهما على عينه، وتكنز عن الناس بهما وبجديدهما، ولم يغب عنهما ولا عن جديده منهما.

أبرز القديم من الإنسان ذاته في المحدث منه بذاته عليه السلام، وما صدر عن ذاته وصفاته. أبرز به آدما ينشق عن حوائه وحققه بجديد لآدم له اصطفاه لنفسه وقد اصطفاه ربه لنفسه، بعد انشقاقها منه جديدا لقديم لها، وبجديد لحواء منه، وبجديد لآدم له قام عماد بيته. جددهما منهما شجرتين طيبتين لكلمتين دائمين به بآدمين.

ولم يفارق قبل أن يكمل بيته وبستانه فتجدد منهما لهما جديد معناه وعنوانه من معناهما لمعناه، في ولديه منهما ولدين له، وَرَّثهما حلمه وجوده وهمته ونجدته فقام في الناس هيكل إنسان، وآدم إنسان، وكمال إنسان، وقام في الناس آدم بيت، وهيكل بيت، وكمال بيت.

ولم يفارق حتى علَّم الطائفين، وأسجد المستقبلين، وقوم المؤذنين، فطاف الناس بالبيت عتيقا قديما، وجديدا مسالما، وحقا قائما، مشتتا مجتمعا موحدا. طاف به الطائفون، وعكف فيه العاكفون، وصلى إلى قبلته المصلون، وسجد له الساجدون، وعرفه العارفون، ودخله الآمنون، وبذلك أوجد نواة مدينته، وهيأ للمدائن قبلته، وبارك القبلة والمدينة، وجعل من أهلهما للناس سفن نجاة، وأحواض ماء للحياة، وسرج نور للطريق، ورفاقا للسائرين في سبيل الله، كلما طلبت سبيل الله لمسير من الحائرين، أو طرقت أبوابها من السائلين، ما طُلِب الله من العقول، وما طرقت أبوابه في النفوس عند من عرفوا الله بقربه، فطلبوه في قلوبهم، فلحقتهم حقائق الله من مدينة رسول الله، فساروا إليها - رجالا وعلى كل ضامر من ذوات أنفسهم، ما تفتحت لهم آذان بسماع، وقلوب باستماع، وعقول باتباع، ونفوس بارتجاع. فكان محمد حق الهيكل، وحق البيت، وحق المدينة.

ولم يفارق حتى سلمت المدن واتبعت السبيل فتواجدت المدائن والأمصار مصلية إلى قبلته، حاجة إلى بيته، آوية إلى مدينته، فتجددته النفوس في هياكلها بقدس من قدس هيكله.

ولم يفارق الأرض بجديد بدء ذاته إلا بعد انتشاره في جديد ذواته وقد أقام الله به في الإنسان أمة، قامته وقامها، وعرفته وعرفها، فأكمل شريعته، ووضع معالم سنته، وأبلغ كتابه قانون فطرته، تتجدد به الأمم بتجدد الهياكل له، تتجدد بها البيوت فتتجدد به المدن، وتتكاثر به المدن فتتواجد به الأمم،

فيقوم كتّابه فتتجمع الأمم عوالمه وحجابه أمة بعد أمة.. ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخَير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله.

فهلا جدد الناس لأنفسهم هيكله في هياكلهم، ومدينته في مدنهم، وأمته في أممهم فعادوا بجديدهم إلى أحسن تقويم، وقد بلغ بهم أمر أنفسهم أسفل سافلين؟ هلا استيقظوا لأحسن التقويم فطلبوه مجاهدين، عاملين، غير وانين، ولأنفسهم بالله ورسوله منشئين مجددين، وإلى ما خلفهم غير ناظرين، ولآبائهم في غفلتهم غير آبهين، ومما ورثوه متخلصين غير مواصلين أو ناشرين؟ هلا تجمعوا على جديد من أمر الله بينهم؟ هلا اتجهوا إلى صعيد؟ هلا بعثوا في جديد؟ هلا قاموا في وليد؟ هلا غيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم؟ هلا أفرغوا ما بأنفسهم من ظلام، وقاموا فارغين في سلام، لله طالبين ولذكره ناصبين، فدانتهم من الله رحماته، وتكشفت لهم في أنفسهم ومن حولهم آياته، فعرفوا حيث أحواضه، وعرفوا حيث مهاده، وعرفوا الأرض سواها لهم ومهدها لهم ما دخلوها نفوسا مطمئنة في عباد للرحمن من بينهم، نفوسهم آمنة ساكنة مطمئنة، فكانوا في رَحِمها منها لها برضائهم أجنة، تدخل في ظلمات السكينة من بعد ظلمات الطمأنينة هي ظلمات ليل الله، حتى تجتاز بحار الظلمات في أمان إلى بحار النور في ضمان تسبح في بحار الرحمة وتنزل إلى أراضي الطاعة، فتعرف أراضي الحياة في سموات وجودهم وسموات معانيهم تفتحت لهم أبوابها بعباد الله بينهم، بمحمد جنانا تنتظرهم ما بين قبر ومنبر في كل وقت وحين.. ما بين قبر نفوسهم إلى أرضها أرضا أرضا، ومنابر عقولهم بإشراقها سماءً سماءً، يقومون باسمه عبادا ويذكرون الله باسمه للناس عمادا، يذكر الناس في قيامهم رسول ربهم، ويذكرون في قيامهم أحواض الحياة من رحيمهم ورحمانهم، يذكرون في قيامهم منهم وجود ربهم بينهم مشرقا بوجه له، هو مرآة وجهه إليهم، لوجوههم إليه، إن تلاقوا عليه وآمنوا به لله ذاكرين، وعليه متواصين وله صابرين، فعَرفوا المؤمن مرآة المؤمن من ربهم، وعرفوا المؤمن مرآة المؤمن من أنفسهم، فآمنوا الله من ورائهم محيط، وعرفوا الله من وراء مراياه من مراياهم من إخوانهم من روادهم من أنفسهم من ورائهم محيط، فبعين الله فيهم يرون وجه الله لهم في مرآة إخوانهم، وبنور الله في إخوانهم يرون مرآة وجه الله لهم يظهرون، وجوها ناضرة لربها في الناس ناظرة، وجوها مشرقة لذي الجلال والإكرام، يرون وحدانية الله بوحدانية الله، يرون الجلالة والكرامة في مجتمعهم وفي إنسانيتهم وفي جمعهم.. جمع لا يرى الفرقة ولكنه يرى الوحدة والاجتماع، رِفاقا في الله، ووجوها لله لا غيبة له ولا خوف منه، انتهى أمرهم فيه إلى أُنس به، ورحمة منه، وجمال مسعد من طلعته، ومن شهود وحدته وجلال حضرته؟

بهذا كله جاء الإسلام. وعلى هذا قام القرآن وعنه عَرَّف الكتاب لا يلمسه إلا المطهرون، ولا يدركه إلا المشرقون، لمس نور الله قلوبهم فرأوا القرآن نورا، ولمس نور القرآن عقولهم فرأوا في قلوبهم نور الله.

هذا هو الإسلام على ما جاء به من أسلم لربه فكان الإسلام له، ومن رأى وجه ربه في غيبه فكان وجه ربه في الشهادة له مرئيا من الناس رحمة الله لهم، ورائيا للناس دينونة الله عليهم بما يراه الناس لأنفسهم به.

هذا هو رسول الإسلام، وهذا هو كتاب الإسلام، وهذه هي سنة الإسلام، فهل أسلم الناس فسلموا؟ وهل سالم الناس فأسلموا؟

نسأل الله لنا وللناس السلامة بالإسلام رحمة مهداة، والمسالمة للناس استقامة مرتضاة، حتى نكون في الإسلام، وحتى نعرف الإسلام، وحتى نقوم بالإسلام. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اللهم إنا عرفنا عن محمد فطلبناه، وفي أنفسنا منك وجدناه، فذكرناه وعلَّمناه. اللهم فانشره في الناس، عبدا لك. اللهم فانشره في الناس نورا منك. اللهم فأقمه في الناس حقا لك. اللهم أشهدهم رسول الله على ما تحب وترضى، وعلى ما يحب لهم ويرضى. اللهم به فأشهدهم أنه لا إله إلا الله، حتى يشهدوا أن الله أكبر، وحتى يشهدوا أنهم لك عباد، وحتى يعرفوا أن محمدا لهم في أنفسهم عماد، وحتى يدركوا أنه الصلاة، وأنه الحج والزكاة، وحتى ينالهم منك به دواما رحمتك، وحتى يردوا حوضه من ماء الحياة منك بلا انقطاع، وحتى يحيوا بنوره فيك في سلام، وحتى يعرفونك الحي القيوم، فيغادروا أوهام أنفسهم من عذاب ما ذكرته إلا تخويفا، وما جعلته إلا تنظيفا، ومن جنة ما ذكرتها إلا ترغيبا، وما جعلتها إلا تعليما، ومن دنيا ما جعلتها إلا دار كسب وزرع وعمل وبعث لبدء بقيام، ومن آخرة ما جعلتها إلا دار معرفة وحصاد وسلام ودوام، ومن شيطان ما ذكرته إلا بأدب إبعاد معانيهم عن معناه تحذيرا من أوهام أنفسهم، إذ لا وجود له إلا ظاهر موجودهم، من جلابيب خلقهم، ومن رحمن ما كان غير معناهم من حقائقهم بحقك، فما كانوا إلا محل رحمتك تفاض بك من بعضهم على بعض، ومن كلمة الله بموعود لقائه، ما كان إلا حقائقهم بالحياة بك ما قاموا باسمك، وما رددوا ذكرك، وما ذكر في ذكرهم، وما تواجد في وجودهم غيرك فكانوا لك وجوها يا ذا الجلال والإكرام، وياذا الطول والإنعام من ورائهم محيط، وبهم ظاهر أقرب إليهم لهم من أنفسهم، ما وراء فعلهم، وما وراء إرادتهم بحكمتك حتى يكونوا لك إرادتك، وحتى يكونوا أيدي فعلك. جعلت الإسلام لك ولرسولك دينك لهم، وجعلت غيره دين من كان فيك هالكا، لا وجود له ولا بقاء له. وجعلت دينك

باقيا تظهر أهله على الدين كله، وتظهرهم على الوجود كله، وتقيمهم فيك بالأمر كله، في فردوس عوالمهم من ذواتهم حضرة لك. فهل عرف المسلمون الإسلام؟ وهل دخل المسلمون الإسلام؟ اللهم فأدخلهم الإسلام، واجعلهم به في سلام من أمر أنفسهم، ومن أمر خصومتهم لهم منهم.

اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا والسلم والسلام على أرضنا، وولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، وعاملنا بعفوك ومغفرتك ورحمتك، لا إله غيرك سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

ما كانت رسالات الله إلا معنى الحق في الناس رسلا من أنفسهم من جانبي الحياة دانيها وقاصيها، فظاهر الناس بتواجد هو قديم الناس بوجود - وما حمل الرسل في حاضر الناس إلا من غيبهم من باطن الناس. حملوا رسالة السماء إليهم والى الناس، رسلا هم في سماواتهم ما حملوا الرسالة إلا من أنفسهم إلى أنفسهم من أهل الأرض - هذا أخوكم جبريل جاء يعلمكم دينكم - فالخلق الخالق لا بدء له، والخلق المخلوق لا انتهاء له - وما كملت الحياة في قاصيها إلا بأهل الصلاحية منهم في آحاد للحقيقة، تحولوا من مجال الخلق لمجال الخالق، فواصلت الحياة من عالم نشأتهم بتواجدها بهم وقد تواجدوا منها فتضاعفت الحياة في بيئة نشأتها بهم. وهم يضاعفونها في بيئة تواجدهم من بيئة نشأتهم على ما يضاعفونها في بيئة نشأتهم من بيئة تواجدهم، كمالا للخلق وقياما له بوصف الخالق مع الخلق المتواصل دواليك إلى لا بدء يعرف وإلى لا انتهاء يتعرف.

حديث الروح المرشد السيد سلفربرش أحد أوادم الملأ الأعلى:

(عندما سُئلت منذ عدة سنوات طويلة عما إذا كنت أرغب في العودة إلى عالم المادة، وأجد على الأرض جماعة تعمل معي على تسليم رسالة الروح، فكما سبق أن فعل كثيرون آخرون من إخواني، أجبت وقلت نعم فليكن. وسلمت إليّ مهمتي.)

(وقيل لي إنه عليّ أن أبحث وأجد جهازا، وأربط نفسي بهذا الجهاز حتى يمكن من خلاله أن أظهر الرسالة التي كلفت بتسليمها. وعلى هذا بحثت في تقاريرنا ووجدت وسيطي).

مصادر التوثيق والتحقيق

١ عبارة صوفية متناغمة مع الآيات الشريفة التي جاء فيها أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض.